كلمة ألقاها البروفسور يهودا باور في
احتفال الأمم المتحدة بذكرى الهولوكوست – 27\1\2006

في 27 يناير كانون الثاني 2006 حرر الجيش الأحمر السوفييتي معسكر آوشفيتس للإبادة، لكن لم يكن ذلك نهاية لمجازر الحرب العالمية الثانية التي راح ضحيتها نحو 35 مليون نسمة معظمهم من المدنيين، إذ كانت الحرب ستستمر لما يزيد عن ثلاثة أشهر بعد ذاك اليوم. وكان 58 ألفا من نزلاء المعسكر قد أُخرجوا في مسيرة قبل ذلك التأريخ بنحو عشرة أيام لأن النازيين لم يريدوهم أن يقعوا أحياء في أيدي محرري المعسكر، فآثروا إخراجهم من المعسكر والسير بهم على الأقدام فيما عُرف لاحقا بمسيرات الموت التي كان ما يفوق نصفهم سيموتون فيها. وقد ترك النازيون وراءهم رماد ورفات أكثر من مليون من البشر، من بينهم 900 ألف من اليهود الذين مات معظمهم تسمما بالغاز. كما تركوا وراءهم نحو 7000 من المرضى والمحتضرين بمن فيهم الأطفال اليهود والغجر ممن أجرى عليهم الأطباء الألمان التجارب الطبية القاتلة.

ما هي مسببات تلك الحرب التي تعتبر أفظع حرب في تأريخ البشر؟ لم يكن الأمر متعلقا بالاقتصاد، فقد كان النازيون تخلصوا من الأزمة الاقتصادية التي اجتاحت بلادهم في ثلاثينات القرن الماضي متغلبين على البطالة. وقد عاد مستوى المعيشة إلى ما يماثل أرقامه في العشرينات وبقي يرتفع، كما لم تكن ألمانيا مهددة من أي بلد، بل بالعكس كانت هي تمثل تهديدا على غيرها، ولم يكن الشعب الألماني وبإجماع المراقبين في تلك الحقبة يرغب في الحرب. كانت القيادة النازية هي التي تسببت في الحرب ولأسباب إيديولوجية بحتة. وقد تضمنت الإيديولوجيا عنصرين رئيسيين هما الطمع في حكم أوروبا ومن خلالها حكم العالم قاطبة بغية بناء هرمية عنصرية عالمية يكون أعلاها الشعوب النوردية الآرية المنشأ، أما سائر الشعوب فتكون في الأسفل. ولكي يتم ذلك وجب احتلال أوروبا الشرقية ثم توطينها بالسكان جرمانيي الأصل لضمان استغلال مواردها الزراعية والصناعية لحساب ألمانيا، ليتأتى ترسيخ تفوق ألمانيا على جميع أعدائها. وكان مصير البولنديين والروس بمقتضى هذا المخطط هو العبودية والعمل الشاق لحساب العنصر السيد. أما العماد الثاني للإيديولوجيا النازية فكان اللاسامية، حيث كانوا ننظرون إلى اليهود على أنهم الشيطان المتحكم في جميع أعداء ألمانيا. وكان هتلر في نظرهم هو المسيح الجديد والمخلص الذي سيتولى قيادة البشرية تحت الحكم الجرماني إلى

مستقبل زاهر، وكان يقف في طرف، ويقف في الطرف الآخر اليهودي الشيطاني الذي يسعى للحيلولة بين تلك اليوتوبيا وبين نيل مبتغاها في حكم العالم. وكانت يوتوبيا هذا العالم العنصري الجديد الرائع هي التي أقنعت معظم الألمان بهجر الأخلاقيات المألوفة والانصراف إلى اقتراف الإبادة الجماعية المتضمنة لما لا يقل عن ثلاث إبادات شعب ضد البولنديين والغجر واليهود. وعلينا ألا ننسى أبدا أن اليوتوبيات قادرة على القتل، أما اليوتوبيات المطلقة الكونية مثل الاشتراكية القومية والشيوعية ويوتوبيا الراديكاليين الذين يؤيدون الإرهاب العالمي اليوم ، فقادرة على الإبادة الشاملة والعالمية.

لقد تأسست الإيديولوجيا النازية اللاسامية على تشويه للديانة المسيحية، فكانت لامسيحية لكون يسوع المسيح الناصري وتلامذته من اليهود. أما النازية فقد أبرزت عقائد مسيحية لاسامية مثل خرافة المؤامرة اليهودية العالمية والتي يتم بعث الحياة فيها اليوم من خلال الإيديولوجيات الإسلامية المتطرفة. كانت اللاسامية المسيحية قد نشأت عن الصراع الذي دار في العالم القديم بين المسيحية واليهودية على نفوس الرومان واليونانيين. وأصبحت الاتهامات قاتلة حين تحولت المسيحية إلى ديانة الدولة فراحت تستغل سلطات الدولة في فرض عقائدها. وعلى مر العصور تم اللجوء إلى المزيد من الابتكارات والتزويرات أمثال اتهام اليهود بقتل الأطفال المسيحيين لاستخدام دمهم في طهو الطعام وهي من الخرافات القاتلة التي يتم ترويجها في أيامنا بين نفس المتطرفين الذين يزرعون الإرهاب في أنحاء العالم.

على أن المسيحية والإسلام لم يقوما يوما بالتخطيط لإبادة الشعب اليهودي، حيث تُرك ذلك للدنيا المعلمنة اللامسيحية التي تعيش فيها أوساط المثقفين الأوروبيين الذين يشعرون بالإحباط جراء الأزمات التي تحدثها المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية الثورية.

إذن فقد كانت العقائدية النازية القوة التي حركت في الألمان تطلعهم إلى الحرب. أجل، كانت ثمة اعتبارات براغماتية، ولكنها كانت ثانوية، وهو ما يجعل القول بأن الحرب العالمية الثانية وموت عشرات الملايين وخراب بلدان وحضارات وتعذيب وقتل الصغار والكبار يعود بعضه إلى كراهية اليهود، قولا غير مبالغ فيه. أما جميع الذين يترددون اليوم في التصدي للدعاية اللاسامية كائنا ما كان منشؤها فحري بنا أن نوجه إليهم السؤال التالي: ألم تعتبروا؟ ألا تعلمون أن أمامنا سما فتاكا يهدد حتى نفس من يعمل على بثه؟ يبدو أن بعضنا، أمثال 55 دولة عضوا في منظمة الأمن والتعاون الأوروبية، قد أدركنا ذلك.

لقد أصبح آوشفيتس وبحق رمزا للشر بحد ذاته. أما بالنسبة للشعب اليهودي فهو أكبر مقبرة يهودية في العالم، على كونه مقبرة بلا قبور. ولكن الذي تم إبادته في معسكرات الموت ليس شعبا وحسب، وكأن ذلك غير كاف، بل إن ما جرى هو محاولة لاجتثاث الثقافة اليهودية والحضارة اليهودية والتقاليد اليهودية التي قدمت للعالم أساسا من أسس الحضارة المعاصرة. هناك وجهان لعملية إبادة اليهود التي نطلق عليها الهولوكوست، أولهما خصوصية المصير اليهودي والآخر يتمثل في الانعكاسات العالمية، ولكنهما وجهان لعملة واحدة، إذ كان اليهود هم بالذات ضحايا عملية إبادة الشعب، ولكن انعكاسات ذلك عالمية لأنه لا أحد يعلم بهوية الضحية في المرة القادمة.

غني عن القول إن ثمة خطوطا متوازية بين الهولوكوست وغيره من عمليات إبادة الشعوب، اهمها أن معاناة الضحايا هي هي. فالقتل هو القتل وقتل الطفل هو قتل الطفل والتعذيب هو التعذيب والاغتصاب هو الاغتصاب والمجاعة والأمراض والإهانة هي هي في جميع الإبادات الجماعية، ولا درجات ولا إبادة شعب خير أو شر من أخرى ولا أحد أكثر ضحية من غيره. أما وجه التوازي الآخر فهو كون كل عملية إبادة شعب ترتكب بأفضل الوسائل الفنية والإدارية في متناول الجناة، فعملية إبادة الشعب في دارفور يتم اقترافها اليوم من خلال القصف الجوي والهواتف الخلوية، حيث تقوم الإدارة الحكومية بدعم القتلة ومنع التدخل الخارجي. وفي رواندا جرى ارتكاب إبادة الشعب بمساعدة الإذاعة الرئيسية التي كانت تزود القتلة بالتعليمات وجهاز إداري حكومي سبق بناؤه على غرار الإدارات الأوروبية من قبل مثقفين تلقى بعضهم علومهم في أحسن الجامعات الفرنسية والبلجيكية والكندية. أما ألمانيا النازية فقد استخدمت جهازا إداريا حديثا ووسائل تكنولوجية من أفضل ما كانت تحوز عليه. لا يملك الهوتو والجنجويد الغازات السامة، ولكن الألمان كانوا يملكونها فاستخدموها. صحيح أن الهولوكوست جرى ارتكابه في القلب النابض من الحضارة الأوروبية والعالمية، وأن أكبر مرتكبيه نشأوا في نفس الاماكن التي تحققت فيها بعض أروع الإنجازات الثقافية التي حققها الجنس البشري، فقد قدم الألمان كلا من كانت وهيغل وموزارت وبتهوفن وبرامس ودورر وبلانك، ولكن لسوء الحظ لم تكن هذه هي أسماء الأشخاص الذين أداروا شؤون ألمانيا في الثلاثينات والأربعينات. وكون هذه المأساة قد وقعت في قلب ما يفرض أن يكون الحضارة المتقدمة أمر لا مثيل له في التأريخ. ولكن كون ذلك قد تم ارتكابه بواسطة أفضل ما كان الفاعلون يملكونه من وسائل فنية له وبدون شك ما يوازيه في غيره من عمليات الإبادة الجماعية.

قال أحد علماء السياسة الأمريكيين إن 262 مليونا بين مدني وأسير حرب أعزل قتلتهم حكومات ومنظمات سياسية خلال القرن العشرين، بالإضافة إلى نحو 34 مليون عسكري ماتوا خلال جميع حروب ذلك القرن بما فيها الحربان العالميتان. معنى ذلك أن عدد المدنيين القتلى يزيد ما لا يقل عن سبعة أضعاف العسكريين. ومن بين الـ262 مليون شخص، زاد عن الـ38 مليونا عدد من ماتوا فيما يعرّفه ميثاق الأمم المتحدة لمنع إبادة الشعوب بإبادة شعب، ومن بين هؤلاء مات ما يقارب الستة ملايين من اليهود في أخطر حالة من حالات إبادة الشعب عرفها التأريخ. لماذا يعتبر الهولوكوست أخطر حالة؟ لماذا يتزايد باطراد عدد الذين يبدون اهتماما بهذه المأساة بالذات؟ لماذا نشاهد هذا السيل العارم من الأعمال الأدبية والمسرحية والسينمائية والتلفزيونية والموسيقية ناهيك عن الأبحاث التأريخية والاجتماعية والفلسفية والنفسية وغيرها من الأبحاث الأكاديمية، وهو السيل الذي يكاد لا يكون له مثيل يتعلق بأي حدث تأريخي آخر؟

أظن السبب كامنا في أنه في حين تتكرر مقومات أي عملية إبادة شعب في بعض مثيلاتها، يشتمل الهولوكوست على مقومات لا مثيل لها في أية عملية أخرى لإبادة شعب، ولا يمكن تشخيصها في عمليات إبادة شعب سابقة. أما المقومات فهي خمسة فضلا عن كونه قد وقع في قلب الحضارة الإنسانية. يتمثل المقوم الأول في أن الفاعلين حاولوا العثور على كل شخص منحدر عن ثلاثة أو أربعة أجيال من اليهود ليتم تسجيله ووسمه وإهانته وتجريده من ممتلكاته واعتقاله وتنفيذ القتل العمد فيه لا لجريمة ارتكبها سوى كونه قد ولد يهوديا. إن هذا لا سابقة له في التأريخ. أما المقوم الثاني فهو أن هذه العملية كانت ستتكرر في نهاية الأمر في جميع أنحاء المعمورة، مما يجعلها أول محاولة في التأريخ لتعميم إبادة الشعب على مستوى العالم. والمقوم الثالث هو كون الإيديولوجية غير مألوفة. إننا نعلم بالطبع أن كل عملية إبادة شعب تستمد مبرراتها من إيديولوجية تقوم على بعض العوامل البراغماتية سواء كانت اقتصادية أم اجتماعية أو سياسية أو عسكرية. ففي رواندا نمت عند الهوتو إيديولوجية تقول بتفوقهم على من سواهم على خلفية صراع حقيقي داخل مؤسسات الهوتو ومقاومة حقيقية لقوة غازية مؤلفة معظمها من أبناء أقلية التوتسي المضطهدة. ولكن النازيين أسّسوا سعيهم لإبادة الشعب اليهودي على مقومات براغماتية هامشية، حيث لم يقتلوا اليهود طمعا في أملاكهم، بل نهبوا تلك الأملاك كجزء من عملية التخلص منهم من خلال تشجيع هجرتهم أولا ثم ترحيلهم وصولا إلى إبادتهم، بل وقد قتلوا اليهود العاملين في مصانع السلاح حين كانوا في أمسّ الحاجة إلى أي عامل بعد هزيمتهم في ستالينغراد أوائل عام 1943، كما قتلوا يهود غيتو لوج في 1944 حين كان هؤلاء ينتجون ما يقارب العشرة بالمئة من لباس الجيش الألماني، ثم قتلوا العبيد اليهود فيما كانوا يقومون بإنشاء الطرق من أجل القوات الألمانية. ولو كان الألمان يتبعون الأصول الاقتصادية الرأسمالية

العصرية المعتمدة على نسبة التكلفة إلى الجدوى، لكانوا ينهبون ممتلكات اليهود ثم يستغلونهم كعبيد في تحقيق أهدافهم كما فعلوا بالبولنديين مثلا. ولكنهم كان عليهم إبادة اليهود لأن هذا هو ما قادتهم إليه إيديولوجيتهم. كان للإيديولوجيۃ النازية طبيعة الكوابيس، فقد كانوا يؤمنون بوجود مؤامرة يهودية عالمية هي صورة معكوسة لتوقهم هم أنفسهم إلى السيطرة على العالم. كان التلفيق القديم قد انبعث بل زاد في النمو ضمن الأكذوبة السيئة الصيت المعروفة بـ"بروتوكولات حكماء صهيون" والتي تم اختراعها في أوائل القرن العشرين من قبل الشرطة القيصرية الروسية ليتولى النازيون إعادة استعمالها وتكييفها، علما بأنها لا تزال يعاد نشرها وتعميمها إلى يومنا هذا في كافة أنحاء المعمورة من قبل حركات وأنظمة لاسامية. كانوا يصدقون الاتهامات بقيام اليهود بقتل أطفال من غير اليهود لأغراض الطقوس الدينية، وهي أيضا أسطورة كابوسية لا تزال تستخدم في تسميم عقول الكثيرين في بعض أنحاء العالم. إذن كانت عملية إبادة الشعب اليهودي تتأسس على كوابيس تحولت إلى إيديولوجيا، وهو أمر لم يسبق له مثيل. أما المقوم الرابع فهو وجود يوتوبيا تقوم على هرمية عنصرية عالمية كان عدوها الوحيد هم اليهود الذين كان من الضروري إبادتهم. والحقيقة أن لا عناصر في الدنيا، فأصلنا جميعا هو القارة الأفريقية، وسواء كنا من الأبوريجينيين الأستراليين أو روسا أو أمريكان أو صينيين أو ألبرت آينشتاين فنحن جميع من نفس القطيع. لقد اخترع العلم النازي المزعوم يوتوبيا قادت إلى إبادة اليهود. والمقوم الخامس يتمثل في أن اليهود آخر بقايا الركائز الأصلية الثلاث لما يعرف على نحو غير دقيق بالحضارة الغربية، أي أثينا كمنشأ الجماليات والشعر والأدب وفن العمارة والفلسفة، ثم روما التي وهبتنا فكرة الدولة المنظمة كما طورت أدبا وعمارة نهلت منهما الحضارة المعاصرة، ثم أورشليم بأنبيائها وأخلاقهم التي تمثل طموحات البشرية. وفي الوقت الذي لا يتكلم اليونانيون والإيطاليون من أبناء عصرنا اليونانية القديمة ولا اللاتينية ويوجهون صلواتهم إلى آلهة آخرين ويؤلفون أدبا مختلفا، ما زال اليهود يتحدثون لغتهم القديمة فيما تعتبر حضارتهم امتدادا مباشرا ومتطورا لثقافتهم القديمة. كان النازيون وبصورة واعية جدا يعارضون جميع قيم الحضارة الأوروبية من ليبرالية وديمقراطية واشتراكية وإنسانية ويريدون القضاء عليها. وكانوا يعتبرون اليهود عنوانا لتلك القيم التي أرادوا محوها، وكانت النتيجة هي إبادة اليهود الذين اعتبروهم رموزا لتلك القيم.

وكان طبيعيا أن يقدم مؤيدو النظام الهتلري اليوم وأعداء الديمقراطية على إنكار الهولوكوست. ومن الخطر العظيم في الواقع أن يوجه مؤيدو الإرهاب الدولي بمن فيهم رئيس لدولة عضو في الأمم المتحدة تهديدا بارتكاب إبادة شعب أخرى بحق اليهود. قد يقول قائل إنه مجرد كلام، ولكن

تجارب الماضي يجب أن تكون علمتنا أنه حين يقول أناس إنهم راغبون في القيام بعملية قتل جماعي فهم يعنون ما يقولون.

كان الهولوكوست حدثا غير مسبوق وكنا نأمل في أن يصبح إنذارا، لا أن يكون سابقة، ولكن تبين أننا كنا على خطأ، فقد أصبح سابقة تبعتها إبادة جماعية بحق شعوب أخرى. ما معنى ذلك بالنسبة للبشرية وما معناه بالنسبة للأمم المتحدة؟ هل ثمة احتمال في أن تكلل بالنجاح جهودنا لمنع إبادة شعوب أخرى مستعينين بفهمنا للإبادة المنهجية للشعب اليهودي وما لا بد أن ينشأ عنها من مقارنة بينها وبين أمثلة أخرى لإبادة الشعوب؟ هل أن نزعة القتل والقتل الجماعي مغروسة فينا جميعا بطريقة أو بأخرى؟ أعتقد جازما أن البشر فيهم غريزة القتل الفردي أو الجماعي، فلسنا سوى ثدييات تقتل أبناء جنسها بأعداد ضخمة. قد يكون ذلك نتيجة ناشئة عن تطور جنسنا، حين ندافع عن أنفسنا وعائلاتنا وعشائرنا وقبائلنا وأممنا وأرضنا من أعداء حقيقيين أو موهومين من خلال القضاء عليهم. ولو أننا لا نملك هذه الغريزة في ذواتنا, فكيف نفسر حقيقة أن جميع المجتمعات لها قوانين ضد القتل؟ لو لم نكن نزّاعين إلى القتل لكانت هذه القوانين لا حاجة إليها البتة. كان كل واحد منا يمكن أن يصبح سفاحا لو تربى غير تربية ومر بمراحل غير ما مر به من الاندماج في المجتمع وضمن مجتمع غير المجتمع الذي ترعرع فيه، ولكن إذا كانت هذه حقيقة، فهل ثمة من إمكانية واقعية للحيلولة دون نشوء موجات من عمليات إبادة الشعوب؟ إن الهولوكوست أحدى عمليات إبادة الشعوب التي توفر جوابا عن هذا السؤال، فنحن في مؤسسة ياد فاشيم، وهي المؤسسة الإسرائيلية واليهودية لتخليد ذكرى الهولوكوست، نملك 21 ألف اسم لأفراد وجماعات قامت بإنقاذ اليهود، وأظن أن العدد الحقيقي لهؤلاء قد يكون ما لا يقل عن عشرة أضعاف العدد المذكور، لأننا ببساطة لا نعلم أسماء الأعشار التسعة الباقية. ففي حين كانوا مجرد جزء يسير من الأوروبيين الذين لم يقدموا العون لمواطنيهم، إلا أنهم يؤكدون وجود البديل ويثبتون أن في دواخلنا أيضا ما يدعونا إلى الإقدام على إنقاذ إخواننا البشر مجازفين بحياتنا نحن. والسبب الأساسي في حضورنا أنا وإياكم هنا اليوم يكمن في رغبتنا في بذل أقصى جهد في نقل الناس من جوار الطرف الكامنة فيه نزعتنا القاتلة إلى جوار الطرف الآخر، لأنه لا شك في أن الخيرين من أبناء الشعوب التي عاشت الهولوكوست لهم نظراؤهم في عمليات إبادة شعوب أخرى.

أقدم لكم مثالا: كان يعيش في قرية كورينيتس الصغيرة الواقعة في منطقة تابعة لبيلاروس اليوم 1500 يهودي حين احتلها الألمان. وقد استعبد الألمان اليهود فور احتلالهم للقرية وأحاطوا ساحة البلد بالأسلاك الشائكة ليزجوا فيها آلاف الأسرى السوفييت الذين كانوا أسروهم في

الأسابيع الأولى على احتلالهم للاتحاد السوفييتي. وكانوا يقتادون إلى تلك الساحة المسيّجة آلاف الأسرى الجدد يوميا وكان الأسرى يرتدون الملابس المهترئة ويتضورون جوعا ويعانون العطش الشديد ومنهم الجريح ومنهم المريض. وفي صباح اليوم التالي اقتيدوا باتجاه الغرب. وقد أُمر اليهود العاملون في الأعمال القسرية بجلب بعض براميل الخبز والماء لهؤلاء الأسرى. وكان من بين اليهود المستعبدين رجل اسمه زالمان غوريفيتش. وقد تقدم منه ضابط برتبة كابتن من الأسرى السوفييت ويدعى بيوتر ميخائيلوفيتش دانيلوخكين وقال "أخرجني من هنا" ولم يزد كلمة. وبعد أن شاور غوريفيتش أصحابه ارتدى فوق ملابسه بذلة أخرى من ملابس العمل ملصقا بكُمّ قميصها النجمة السداسية الصفراء، فدخل المنطقة المسيجة يحمل برميلا. وعلى الفور ارتدى دانيلوخكين المندمج بين الجماهير بذلة غوروفيتش الزائدة فوق ملابسه ليصبح عاملا يهوديا حتى آخر ذلك النهار. يشار إلى أنه لم يكن قد تم إنشاء غيتو في كورينيتس، فكان العمال يعودون إلى بيوتهم في المساء. وقد اصطحب غوروفيتش الأسير الروسي دانيلوخكين إلى بيت والديه واللذين حرصا على إعادة وضعه إلى ما كان عليه من الصحة والعافية. وقد أصبح دانيلوخكين فيما بعد منشئ أول مجموعة لأنصار الحلفاء في بيلاروس، ولم ينس اليهود الذين كانوا أنقذوا حياته حيث أصبحت تلك المجموعة المكونة من ثمانية أشخاص يهود أول مجموعة من اليهود التحقت بمجموعته، تلاها نحو 300 يهودي هربوا لينضموا إلى أنصار دانيلوخكين الذين قدموا لهم ما استطاعوا من العون. وقد انتسب الشبان والأقوياء من هؤلاء إلى وحدات الأنصار فيما تم تهريب الآخرين إلى الأراضي السوفييتية المحتلة، حيث نجا نحو 150 منهم.

ما الذي قلته لكم هنا؟ لقد قلت لكم لتوي أن اليهود أنقذوا خلال الهولوكوست رجلا غير يهودي لم تكن تربطهم به سابق معرفة مجازفين بحياتهم، ثم قام ذلك الشخص ورفاقه بإنقاذ يهود لم يكونوا يعرفون معظمهم مجازفين بحياتهم **هم**. من اليقين أن الهولوكوست دليل على شدة تفاهة الحياة، ولكن هوامشه تتضمن دُرى التضحية بالذات من أجل الغير، وهذا الذي يدلنا على أن ثمة بديلا، وأن محاولات منع حدوث إبادة شعب من أمثال ما يقوم به مكتب المستشار الخاص لسكرتير الأمم المتحدة لمنع إبادة الشعوب فضلا عما تبذله حكومات ومنظمات غير حكومية، ليست بمثابة المهمة فاقدة الأمل، ولكن فشل المجتمع الدولي حتى الآن في التعامل مع عملية إبادة الشعب الجاري تنفيذها في دارفور يدل على مدى صعوبة ذلك. كان يمكن بسهولة الحيلولة بين ألمانيا النازية والتوسع وإشعال الحرب وارتكاب إبادة شعب ليس لسواد عيون اليهود، وإنما لمصلحة الدول العظمى وهي بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة. ولكن هذه الدول لم تفعل المطلوب فدفعت الثمن، ليس من خلال عملية الإبادة المنظمة لما يقارب الستة

ملايين يهودي، وإنما من خلال موت عشرات الملايين من مواطنيها هي وخراب أوروبا. وإذا لم يوقفوا اليوم إبادة شعب دارفور، فستنتشر العملية لتبدأ مجازر جديدة لإبادة شعوب أخرى فيصبح الثمن الذي سيدفعه العالم باهظا حقا. وتعتبر المصالح الاقتصادية أحد العوامل الرئيسة في منع المنع، ولكن على الناس إدراك أن منع إبادة شعب أقل تكلفة بكثير من دفع ثمن إعادة البناء فيما بعد. أما كون الكثيرين من قادة القتلة في حملات إبادة الشعوب إن لم يكن معظمهم يفلتون سالمين فهو خزي وعار آخر يتوجب على المجتمع الدولي إصلاحه، لأن الحصانة من العقاب تشجع على اقتراف المزيد من المجازر لإبادة الشعوب. لقد أحيل بعد الهولوكوست عدد من كبار قادة النظام النازي إلى القضاء، فيما قدّم آخرون إلى المحاكمة في الستينات من القرن الماضي، لا سيما في ألمانيا، ولكن الآلاف من المجرمين على المستوى المتوسط للإدارة النازية إما يكونون لم يحالوا إلى القضاء، وإما يكونون تمكنوا من الإفلات بحيلة أو أخرى، ما يستوجب إجماعا دوليا فعالا على ضرورة حمل جميع السفاحين المحتملين على الإدراك بأنهم سيدفعون الثمن غاليا إن هم تجاوزوا أبسط الأصول الأخلاقية.

إننا جميعا جنس بشري واحد، مرتبطون بعضنا ببعض معتمدون بعضنا على بعض، وإن المبادئ التي لا تستند إلى الاعتبارات الأخلاقية لا يمكن أن تشكل في نهاية المطاف سياسة عملية. ومن منطلق هذه الاعتبارات أتوسل بكم أن تسمحوا لي بأن أكرر هنا ما كنت قد قلته قبل ثمانية أعوام بالضبط في خطاب ألقيته أمام مجلس النواب الألماني - البوندستاغ : "إنني منحدر من شعب قدّم للعالم الوصايا العشر. لنتفق على أننا في حاجة إلى ثلاث وصايا أخرى: لا تكن المرتكب، لا تكن الضحية، ولا تكن يوما وبأي حال من الأحوال المتفرج.